بسم الله الرحمن الرحيم

المستّوى: ماستّر1 الأستّادة: وافيّة مغزّي

السنّة الدراسيّة: 2019-2020

مشكّلة تكوّن العلوم الإنسانيّة ومفاهيمها

تمهيد :

في نشأة العلوم الإنسانيّة عبر التّاريخ برزت إلى الوجود فهوم متّعددة عن الإنسان ، الكون ، الحياة وتوالت الرؤى الكونيّة المختلفة ترسم المنظومة القيميّة لمجتّمع معيّن أو لمجتّمع كوني وتفرض إلزاميتها عليه. ولا تزال تتّوالى إلى يومنا هذا . ما يعني أن مفهوم العلوم الإنسانية ، موضوعاتها ، مناهجها ليس واحدا وإنما هو في طور التّشكل عبر التّاريخ . فكيف نمسك بمفهومها وهو في حال التّشكل الدائم؟ وكيف نخضع موضوعاتها للدراسة العلميّة؟ وكيف نطوّع المناهج العلميّة لمعالجة الظاهرات الإنسانيّة حال صيرورتها ونقاربها حين تغيّر مساراتها ؟

مفهوم العلوم الإنسانية :

العلوم الإنسانيّة هي مجموع علوم متّخصصة في دراسة الإنسان وتوثيق تجربته من جميع جوانبها في مختلف العصورباعتباره كائن حضاري(ثقافي) ، له ماضي ، حاضر ومستّقبل . وعلاقات تربطه بذاته (علم النّفس) أوباللآخر (المحتّمع) . وبالعالم (الطبيعة) وبالإله (الدّين) .

تفتح هذه العلوم نافدة للتّواصل بين الماضي والحاضر ، بين الذات والآخر ، بين علم وعلم آخر، بين علم وفلسفة ودين . كما تفتح نوافدها للتّفلسف الحر في شتّى الموضوعات التّي تخصّ الإنسان . لذلك يطلق عليها اسم علوم الإنسان أو علوم الطبيعة الإنسانيّة .

هذه العلوم خضعت في مسيرة تكوّنها لمنهجين هما :

منهج التّفسير: خاص بالعلوم الطبيعية، يقوم على فصل الذات عن موضوع الدراسة ويعني ردّ سبب حدوث الظاهرة الإنسانيّة لأسبابها المادية مما يؤول إلى إقصاء باقي الأسياب لأنها غير مرئية وغير مادية . العلماء المتخصصون في العلوم الإنسانية استّنسخو هيكله وأسقطوه على ميدان بحثهم ، من أبرز الممثّلين لهذا التوّجه نجد (**أوجست كونت ، دوركايم ، هربت سبنسر) .**

منهج الفهم : منهج ابتّكره علماء الإنسانيات ، يقوم على دمج الذات بالموضوع في عملية البحث العلمي لذلك يتّمركز على التّأويل الذي يعني إدراك الدلالة التي يتّخدها الفعل بالنسبة للفاعل ،وغالبا ما تتّكون هذه الدلالات من المقاصد والنوايا والغايات التي ترافق الفعل و النّفاد إليها لمعرفة القيّم الموّجهة للسلوك الإنساني لن تتّأتى بمنهج التّفسيروإنّما بمنهج الفهم . من أبرز الفلاسفة الذين يمثّلون هذا التوّجه نجد **(دلتّاي، هوسرل، ماكس فيبر).**

تاريخ تكوّن المفاهيم في العلوم الإنسانيّة:

الباحثون في الإنسانيات عندما بحثوا في تاريخية العلوم الإنسانيّة ، منهم من رّد البدايات الأولى لتكوّنها إلى الأصول الإغريقية وهو رأي أغلب البحاثة . بما فيهم **"يمنى طريف الخولي"** في كتّابها الشهير**:" مشكلة العلوم الإنسانية ، تقننها وامكانية حلّها "** ، بل بلغ توكيدها على هذه الواقعة التّاريخية حدّ الإقرار بالنضج الذي بلغه العقل اليّوناني في دراسته لهذه العلوم مقارنة بالعلوم الطبيعيّة الذي لم يكن في المستّوى المَرجُو. وتستثني من هذا التّعميم الفلاسفة الطبيعيّون ما قبل سقراط . ثمّ تلته محاولات **"ابن خلدون"** للتّأسيس **"لعلم العمران البشري"** (علم الإجتّماع) في العصور الوسطى الإسلاميّة ، الذي لم تقدر محاولاته الإستّمرار والنّماء ، لأنّ مشروعه ظهر في زمن أفول الحضارة الإسلاميّة حتّى بدايات القرن التّاسع عشر لم نشهد اهتّماما بالعلوم الإنسانيّة ، ولعلّ ذلك يعود إلى ازهار العلوم الطبيعيّة وانشغال العلماء بما هوعلمي على حساب ما هوإنساني .

لكن الوضع لم يستّمر على هذا النحو فبحلول منتصف القرن التّاسع عشر انتّعش البحث العلمي في الظاهرات الإنسانيّة . وشهدنا الميلاد الحقيقي لجميع فروع العلوم الإنسانية مؤسسّة على نفس المفاهيم المؤسسّة للعلوم الطبيعيّة. هنا كانت العلوم الإنسانيّة مأخودة بالإنتّشاء الناتج عن إحساسها بالإستّعلاء على الفلسفة ، علما أنّ الفلسفة لا تزال تحت وقع صدمة انفصال العلوم الطبيعيّة عنها وتفشي موجة الإزدراء لكلّ ماهو فلسفي منفصل عن النظر العلمي . من هنا استّمداد العلوم الإنسانيّة عقدة نقصها التّي عبّرت عنها بمجاراتها للعلوم الطبيعيّة **ووضعية "أوجست كونت" وتطورية "سبنسر"** تمثّلان هذا النّهج أحسن تمثّل .

تقوم الإبستـمولوجية الكونتية على دعامتين : أولا التّمركز المنهجي على المنهج الوضعي(العلمي) و الثاني التّمركز الأنثروبولوجي حول الإنسان(الشيء) كموضوع مطلق للمعرفة وبديل عن الإله والرّافض لكل تفكير في الميثافيزيقا . بالمقابل احتّرم **"سبنسر"** الفلسفة ، لا لذاتها وإنّما بالنظر لعلاقتها بالعلم ، في نظره هي النظر المضيء للعلوم . ولا ينبغي لها أن تشتّغل على واقع غيره . بغية بناء رؤية كونيّة تشمل قوانين علميّة قابلة للتّطور التاريخي تفسّر العالَم المادي وغيرالعالَم المادي (الحياة) . فإذا كان **" كونت "** تأثر بمنهج العلم فإنّ **"سبنسر"** قد تأثر بمنهج العلم وفلسفته للإنسان (شيء يتّطور).

حتّى إذا دلفنا إلى القرن العشرين وجدنا العلوم الإنسانيّة بلغت أشواطا في التّقدم وبذلت جهودا في تحديد موضوعاتها ،صياغة مفاهيمها وإرساء مناهجها كالتّحليلات الرّياضية والمناهج الإحصائيّة والقياسات العددية والوسائل الإمبريقيّة كقوائم الإستّبيان وكشف الأسئلة واستّمارة المقابلة والمشاهدة بالمقابلة ...إلخ. في هذه الفترة كانت العلوم الإنسانيّة في مختلف فروعها بمثابة الجهاز المفاهيمي الذي يستّرق السمع بشغف لما يحدث للعلوم الطبيعيّة من اعتّمال وتطوّر،ثمّ يحاول فيما بعد الإستّفادة من كلّ ذلك لفهم الإنسان والحياة والمجتّمع الأوروبي . ومنذ الربع الثاني من القرن العشرين بدى واضحا لعلماء الإنسانيات أنّ الأساليب الإخبارية أو الوضعية غير كافية لشق طريق العلم . ووصل الوعي بهذا العجز حدا جعل الفكر الأوروبي يسوده آنذاك أزمة يطلق عليها بأزمة العلوم الإنسانية و التي قد تصل لحد يجعلها أزمة العلوم الأوربية إجمالا كما نص عنوان كتاب **"لهوسرل"** مثلما ذكرت يمنى طريف الخولي في الصفحة 68 من كتّابها . فظهرت " الفينومينولوجية (الظواهرية)" كاتجاه مستقل وقوي يروم ابتكار منهج خاص بالعلوم الإنسانيّة ، في هذا يحاول البحث عن بعد إنساني خاص بعلوم الإنسان فراح **"هوسرل"** يدرس تيار الشعورالزّماني واعتّنى بالوعى الباطن للزّمان وبكلّ ماهو عقلي في

الإنسان كرّد فعل على تشييئه السّابق . دون إغفال دور التّجربة في عمليّة بناء العلوم كافة .أي الجمع بين (القصدية _والإحالة) أعني بين الذات والموضوع .

هنا لا يعود منهج التّفسير صالحا للبحث العلمي في الإنسانيّات ، وإنّما منهج الفهم بلغة **"دلتّاي"** ويكون **"هوسرل"** قد شقّ طريقا موزايًا لطريق العلم ، الطريق المنطقي الذي شقته **"يمنى طريف الخولي"**، لذلك نجدها تنتّقد **المنهج الهوسرلي** ترى أنّه أليق بالدراسات الإنسانيّة الحضارية ،الإيديولوجيّة والمعياريّة. ولا يليق بعلوم كااقتّصاد ، علم الإجتّماع وعلم النّفس . غير أننا نعتقد أن الفينمولوجيا – خاصة تطوراتها بعد **" هوسرل"** - تختّص بعلم النّفس أكثر ، ألم يتّنبأ **"ميربونتّي"** باسترشاد علم النّفس بنتائج الفينومينولوجيا في المستّقبل من أجل توضيح تصوراته الأساسية .

سعيا لإنشقاق العلوم الإنسانية عن مفاهيم العلم الطبيعي الكلاسيكي عن الإنسان من حيث كانت الحتّمية تنفي حرّية الإنسان. باختصار أراد الفينومولوجيون بابتداعهم منهجا جديدا في العلم بلورة مفهوم جديد ومستّقل عن الإنسان ينظر إليه ككائن خلاّق يخلق المعاني ويتّشكل سلوكه في إطار وعيه وبحريتّه قادر على تشكيل عالمه الإجتّماعي.

في القرن الواحد والعشرون عاد ت بعض الأصوات العلميّة – النّسوية تحديدا(يمنى طريف الخولي) - لتخبرنا أنّ أزمة العلوم الإنسانيّة يمكن حلّها بالتّساوق المنهجي والمنطقي. فالإبستمولوجية العلمية المعاصرة (ثورة النسبيّة والكوانتّم) ومبدؤها اللاحتّمية تستّوعب تلك الأزمة وتفتح الطريق للخروج منها باعتّماد منهج التّفسير و التّزوّد بضوء الخاصيّة المنطقيّة المميزة للعلوم الطبيعيّة .

<u>الإستّنتاج:</u>

نستّنتج ممّا تقدّم أنّ للعلوم الإنسانيّة مفاهيم متّعددة تتالت عبر تاريخ تكوّنها الواحدة تلو الأخرى. و للعلوم الطبيعية تأثير بالغ الأثر في تعدّد مفاهيم العلماء عن الإنسان ، العالَم والحياة . فهذه العلوم لاتفكّر والذي يقطف ثمار مساراتها هي العلوم الإنسانيّة إما عبر تأويل ما تصل إليه من نتائج أوتقليدها في نزوعها المنطقي و المنهجي. وقد يجيء الحل ثوريًا في ابتّداع منهج مستّقل و خاص.